أميرتي: أنتِ

(بطلة رغم كل شيء)

ليلى هشام

وحي القلم

Mariam

نوفيلا

أميرتي أنتِ

ليلى هشام

غلاف خارجي: مريم أحمد

داخلي وتنسيق: رحاب جمال زكريا

تصحيح إملائي: رحاب جمال زكريا

فريق عمل جروب وحي القلم

https://www.facebook.com/groups/wahy.alqalam/?ref=share_group_link

الفصل الأول

دلفت إلى المنزل بعد يوم شاق فوجدت والديها، قامت بإلقاء التحية عليهم قائلة بهدوء:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم استأذنت منهم أن تأخذ قسطًا من الراحة، كانت في طريقها حيث غرفتها حينما قاطعها صوت والدتها قائلة بشيء من الاستياء والغضب الخفيف:

- أنا مش عارفة هتفضلي لاخمة نفسك بالبتاع ده أد إيه؟! ده اللي موديكي لورا يا بنتي.. شوفي البنات بتلبس إزاي وإنتي لابسالي الخيمة دي!!

حاولت الأخرى تمالك أعصابها فليس لها القدرة على الدخول في إحدى نقاشاتهم التي تنتهي دائمًا بنفس النتيجة.

قالت أميرة متصنعة الهدوء:

- يا أمي أولًا ده مش خيمة.. ده رداء أمهات المؤمنين وأي حد يتشرف إنه يلبسه.. ثانيًا بعد إذنك أنا معنديش طاقة أدخل في أي نقاش.. اسمحيلي أدخل أرتاح.

قالت ذلك ثم اتجهت إلى غرفتها اتكأت على فراشها بتعب تتذكر نقاشاتهم الدائمة حول ارتداء النقاب الذي ارتدته إلى ما يقرب

من عشرة أعوام، في عامها الثاني في الجامعة، ورغم طول المدة لم تتنازل والدتها عن شجارها المستمر معها حول هذا الموضوع معللة أنه السبب في تأخير زواجها حتى وصلت إلى سن الثامنة والعشرين.

تأخر زواجها ليس ذنبها ولا ذنب النقاب، بل تغيير المفاهيم أصبح الزواج من أجل الجسد وليس القضية، أصبح على أساس شكل الوجه؛ رسمة العين، شكل الأنف، شباب فارغ خاوي، يبحث عن كل ما هو ملون وجميل دون النظر إلى حقيقة هذا الشيء وأصله، مثل الفراشة ملونة وجميلة تجذبك بألوانها ولكنها في حقيقة الأمر حشرة.

هذا ما جال في خاطرها قبل أن يستقبلها النوم بكل ترحاب.

* * * *

أما في الخارج.

حسين الحزين على حال ابنته:

- خفي على البنت شوية يا نادية.. مش في الرايحة والجاية تفتحي الموضوع ده.. هي عايزة تلبسه والحمد لله لبسته من سنين.. لازمته إيه الكلام ده كل أما تشوفي وشها؟! البنت مش مستحملة.

قالت بضيق منفعل:

- دلوقتي أنا الغلطانة؟! بنتي وخايفة عليها.. خلاص قربت على التلاتين.. معدش حد باصصلها.. وطول الوقت شاغلة نفسها في الجامعة والدار وهنا وهنا، ورفضتْ أكتر من حد كويس و أقولها ليه يا أميرة؟ تقولي مش ملتزم يا ماما، دينه ما يناسبش ديني يا ماما.. لحد ما هتقعد في أرابيز ماما.. البنات بتلبس وتعمل البدع في نفسها وهي لابسالي الخيمة دي اللي مخلياها ذي اللي عندهم ستين سنة!!

انتفض الآخر قائلاً بحده وقد فقد رمقه الأخير من الصبر:

- إنتي يظهر حصل لعقلك حاجة!! عاوزة بنتي تلبس بالطريقة دي عشان تتجوز؟! عايزاها تخسر دينها عشان يجيلها عريس!! دي ست البنات تقعد وتحط رجل على رجل وتشاور بس وتلاقي بدل العريس مية.. بس هي مش عاوزة عريس عاوزة راجل.. راجل يعرف ربنا على دين وخلق.. عارف يعني إيه واحدة حيية متدينة.. واحد يصونها يفتخر بيها إنها متغطية محدش غيره بيشوفها.. مش عاملها عرض للناس!

ثم تركها وغادر غاضبًا أما هي فجلست تفكر في كلامه مليًا.

* * * *

في مكان آخر يعمه الهدوء الذي تخلله شهقات بكاء مرير يُدمي القلوب، بكاءً يلازمها كل ليلة ما أن تطأ قدمها غرفتهما أو ما كانت غرفتهما، أما الآن فأصبحت غرفتها وحدها ومكانه بها خاوٍ، زوجها حبيبها توفيَ إثر حادث سير وهو عائد من عمله لتفارق روحه جسده بعد دقائق من وقوع الحادث وأخذت روحها معه.

شردت قليلًا في ذكرى قديمة:

- إحنا نقسم فريقين البنات مع بعض والولاد مع بعض.

كان هذا صوت محمد.

أحمد بفرحة:

- أيوة يا بابا مو افقين.

رفيدة:

- لأ يا بابا.. أنا عاوزة أكون في فليقك. (فريقك)

نظرت لها سندس بصدمة مفتعلة:

- كده يا رفيدة؟ بتبيعيني؟!

اقتربت منها رفيدة مقبِّلةً وجنتها:

- لأ يا ماما.. خلاص بس إنتي بتعلفي (بتعرفي) تلعبي يعني؟

قالت بتوتر ونظرات فخر كاذبة:

- أها طبعًا يا بنتي ده أنا حريفة.

محمد بابتسامة خفيفة، فهو يعلم أن زوجته فاشلة فشلًا زريعًا في كرة القدم، حتى أنها لا تُفَرِّق بين الحَكَم وحارس المرمى.

صاحت رفيدة بعد أن أصبحت النتيجة 0:4 لصالح الفريق الآخر:

- لأ أنا عاوزة أكون في فليقك (فريقك) يا بابا.. ماما مبتعلفش (مبتعرفش) تلعب.

قال مُحمد بهدوء بعد أن لاحظ علامات الحزن البادية على ملامح زوجته رغم أنها لعبة إلا أن النساء تأخذ الموضوع بشكل جدي إذا تعلق الموضوع بفشلها في أمر ما أو شيء تشعر أنها لا تجيده.

- لسه يا رفيدة نهاية المباراة هي اللي بتحكم مين الفايز.

انتهى الوقت الذي حددوه بتهليل رفيدة وحسمت النتيجة 6:8 لفريقها هي وسندس.

رفيدة بتهليل وهي تحتضن والدتها:

- إحنا أشطل (أشطر) منهم يا ماما.. فُزنا عليهم.

وهي تخرج لسانها في محاولة لإغاظة أخيها، أما فكانت تنظر لزوجها مبتسمة بعد أن أقنع أحمد (توأم رفيدة) أنهم هم

الرجال وعليهم التحمل وأن من واجبه دائمًا أن يُدِخل السرور على قلب أخته ووالدته، تعلم أنه من سمح لهم بالفوز.

غمز لها قائلًا بصوتٍ خفيض:

- عِدّي الجمايل.

ضحكت هي وشاركها ضحكها.

استفاقت من ذكرياتها وكانت قد اشتدت حدة بكائها وارتفع صوتها بالبكاء ولم تدرك ذلك إلا عندما استمعت إلى طرقات على باب غرفتها وصوت صغيريها، فتحا الباب ثم اقتربوا منها محتضنين إياها، بكت رفيدة مثل والدتها وقام أحمد بمسح دموع والدته، يفعل مثلما كان يرى والده يفعل كلما كانت تبكي ثم قَبَّل رأسها قائلًا:

- ممكن توقفي عياط يا ماما.. إنتي عاوزة بابا يخاصمني عشان سبتك تعيطي إنتي وروفي؟

ثم فعل مع أخته كما فعل معها.

حديثه كفيل أن يجعلها تبكي لأيام ولكنها حاولت أن تستعيد رباطة جأشها، يجب أن تتسلح بالقوة أمامهم.

مسحت المتبقي من عبراتها وهي تقول:

- لأ خلاص معدتش هعيط يا حبيبي.

ثم قامت باحتضانهم وأخذت تربت عليهم حتى تسلل النوم إليهم، فجال بخاطرها ذكرى أخرى.

كانت تنام واضعة رأسها على قدمه عندما قال محمد بصوتٍ هادئ:

- تعرفي يا سندس؟ أنا نفسي نربي أولادنا على مبادئ دينهم الصحيحة.. من الأول يطلعوا عندهم قضية شايلين هَمّ الدين والدعوة لدين الله.. الرسول ﷺ يفخر بيهم.. مش جيل فاسد هامُّه الجيم واللعب والمباريات، جيل قوي مش هش عشان يليق إنه يحمل الرسالة اللي ربنا كلفه بها.

استقامت جالسه قليلًا واضعة يدها على كفه ثم قالت مبتسمة:

- إيدي على إيدك وإن شاء الله هنقدر.

ابتسم لها ثم قَبَّل رأسها في امتنان واضح.

عادت إلى الو اقع وقد تحولت نظراتها المنكسرة إلى نظرات تصميم وعزم.

عزم على أن تبذل كل جهدها حتى يصير أولادها أصحاب رسالة وقضية ودور في الدعوة لدين الله وهي الأخرى يجب أن يكون لها دور.. ودورٌ فعال.

الفصل الثاني

في أحد مكاتب الهندسية المعمارية.

دلف بهيئته الفارعة وزيه المنمق مُلقيًا السلام على الجالس:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رفع ياسين رأسه ناظرًا إليه:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. اتأخرت النهاردة يعني؟

نظر إليه الآخر باستياء، رفع ياسين حاجبه في تفكير ثم انفجر ضاحكًا قائلًا من بين ضحكاته:

- لأ لأ.. متقولش عروسة جديدة كده على الريق.

مصطفى بنصف ضحكة وهو يشدد على نطق الاسم:

- لأ وخد الكبيرة.. اسمها شاهيناز.

دخل ياسين في دوامة ضحك أخرى قائلًا:

- حرام عليك يا مصطفى.. الست بتتعب معاك.. اتجوز وريحها.. نفسها تشوفك متستته يا بيضا.

قال حانقًا:

- تصدق إنك إنسان رخم!

ثم استطرد:

- وبعدين أعمل إيه؟ مفيش ولا واحدة منهم مناسبة.

ما كاد يتم جملته إلا وطرق الباب وكانت إحدى الموظفات معهم وهي ابنة رئيس المكتب والتي بمجرد دلوفها غض كلًا من ياسين ومصطفى بصرهما ولكن ما لم يستطيعا فعله هو غلق أنوفهم أيضًا فرائحة عطرها ملأت المكان.

سمر موجهة حديثها إلى مصطفى بصوت رقيق:

- لو سمحت يا أستاذ مصطفى.. التصميم ده مش راضي يتظبط معايا.. ممكن بس حضرتك تحاول تظبط الزو ايا؟

حمحم مصطفى قائلًا:

- ممكن تركزي شوية وإن شاء الله تقدري تظبطيه.. حضرتك ما شاء الله أكثر كفاءة.

قالت بنفس الصوت وهي تدقق النظر به:

- إزاي ده يا أستاذ مصطفى؟ لما أكون أنا أكثر كفاءة حضرتك تبقى إيه؟ حضرتك مكسب كبير للمكتب وإحنا هنا فخورين بانضمامك لينا.

قال في سره «تقريبًا هو يوم كانت أمي دعت عليا فيه»

سمر: بتقول حاجة يا أستاذ مصطفى؟!

مصطفى: لأ بقولك أستاذ ياسين أكفأ من الكفء نفسه.. اتفضلي اعرضي عليه التصميم وهو هيتصرف.. أنا هعمل

تليفون وآجي.

كان ياسين يحاول أن يكتم ضحكته بصعوبة وقام بتوضيح لها بعض الأمور شديدة الصعوبة لدرجة أنها لا تحتاج إلى توضيح!

أما مصطفى فقد عاد إلى مكتبه الذي كان مقابلًا لمكتب ياسين فاستأذنت هي بالخروج من مصطفى متغافلة عن وجود الآخر حتى لم توجه له كلمة شكر واحدة، ما كادت تغلق الباب إلا وارتفع صوت ضحكات ياسين.

- بتضحك؟؟! وقال إيه التصميم مش راضي يتظبط! مش لما تتظبط هي الأول!!

قال من بين ضحكاته:

- شفت! بمجرد ما قلت حد مناسب هي جت.. ملكش حجة يا دَرش.

نظر له مصطفى بامتعاض:

- اسكت يا ياسين.. ربنا يصلح حالها وحالنا.. مفيش فيها ولا صفة من اللي أنا بتمنى ألاقيها في زوجتي كمان.

- إنت مش عاجبك العجب! ولا دي ولا أي واحدة والدتك بترشحهالك.. مع إن اللي أعرفه إنهم بيكونوا على قدر من التدين والجمال.

ثم استطرد مازحًا:

- يا أخي حرام عليك نفسي أشيل ولادك قبل ما أموت.

قال الآخر ضاحكًا :

- مالك؟ قلبت على أمي كده ليه؟!

ثم بجدية :

أيوة في منهم على قدر من الدين والجمال.. بس لسه ملقتش اللي شبهي.. انسانه مش فاضية من جواها ،اللي فاهمة يعني إيه زواج يعني إيه تنشئ جيل حامل للقضية مش لمجرد الزواج ودبلة وفرح وخروجات وفسح وبيت جديد و ووو.. بتتزوج عشان عندها رسالة.. عارفة إنها راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها.. عارفة يعني إيه تربية وعارفة أهمية النشء على قيم الإسلام.

قال ياسين ممازحًا:

- و إيه كمان؟

بابتسامة مُشرقة أكمل:

- إنت بتقول فيها ؟ من و أنا في الجامعة و أنا نفسي تكون زوجتي منتقبة.. مش بس لابسة النقاب لأ.. النقاب مأثر في كل جوارحها.. مش بس حجبت وشها وغطته كمان حجبت كل

زينة.. عملت حدود في كلامها في كل حاجة.. عرفت إنه عبادة لله في المقام الأول فتغلبت بأمر الله على أكثر فتنة عندها.. وهي حب الزينة أصعب اختبار للمرأة.. فعلت ده لله في المقام الأول.. ثم حفظت نفسها.. وحفظت حق زوجها فيها.

أما ياسين فحديث مصطفى جعله يشرد، لا يعلم لمَ ذكّره حديث مصطفى بابنة خالته وأخته في الرضاعة!

انتبه على صوت مصطفى:

- ها يا ابني.. رُحت فين؟!

- معاك.

ثم استطرد مازحًا:

- أيوة أيوة فهمت طلبك.. إنت عاوز اللي لما تيجي تقولها بحبك تقولك جزاك الله خيرًا.. ولما تيجي تقولها تعالي نخرج مكان تقولك يا أخي في الله تعالى نصلي ركعتين لله.. وتكُب عليك جردل ميا عشان تقومك لصلاة الفجر.

نظر الآخر شذرًا:

- تصدق إنك رخم! أنا غلطان إني قاعد بتكلم معاك أصلًا.. مش عارف كانوا مستحملينك في البيت إزاي!! ليهم الجنة.. وللأسف ده تفكير ناس كتير عن الملتزمات.. إنهم طول اليوم صلاة وذِكر

ومش عايشين.. مع إنها عادية زي أي انسانة.. الاختلاف بس إنها بتحاول تطبق الدين صح وفي نفس الوقت عايشة حياتها تحب وتتجوز.. ودي لما تتجوز بتكون مدخرة كل مشاعرها لزوجها.. شحنتها وعاطفتها المكبوتة بتكون لزوجها بس يعني تقدر تقول أستاذة في الحب.. والناتج أسرة قمة الاستقرار النفسي والعاطفي بسبب الشحن المخزن اللي كل واحد منهم مطلعهوش إلا لشريكه.. على عكس الغير ملتزمة اللي بتخرج شحنتها العاطفية في الاختلاط اللي بتمارسه طول حياتها.

ياسين بتفكير:

- ياه يا دَرش.. تصدق إنك طلعت بتفهم! ربنا يا رب يرزقك الزوجة الصالحة التقية النقية عاجلًا غير آجل.

ثم استطرد بطريقة فكاهية:

- ويرزقني أنا كمان.

دوت ضحكات مصطفى في المكان عندما انتفض الآخر حينما رن هاتفه برقم زوجته عقب دعوته مباشرةً قائلًا بضحك:

- أحسن.. عشان تبقى تدعي بضمير.

* * * *

أما على الجانب الآخر، اجتمعوا على طاولة الافطار ينتظرون

انضمامها لهم، كان عمر يراقب نظرات والده الحانقة التي يرسلها إلى والدته فأيقن أن السبب أحد شجاراتها الدائمة مع أخته أميرة، قطع هذا الصمت والنظرات المتبادلة قدومها مشاركتها لهم الافطار أو هكذا تظاهرت، أشار حسين بعينيه إلى زوجته أن تحاول فتح حديث معها تطيب به خاطرها، نظرت له بامتعاض يشوبه الضيق ثم وجهت نظراتها إلى أميرة وهي تقول بهدوء:

- حبيبتي أميرة نمتي كويس؟

قالت أميرة وهي تربت بحنو على كف والدتها وقد أدركت أنها تحاول فتح حديث معها:

- أيوة يا أمي.. ربنا يباركلنا فيكِ.

ليعم الصمت مرة ثانية فأشار زوجها مرة أخرى حتى تستكمل حديثها معها فأرسلت إليه نظرة حانقة فهي لا تجيد هذه الأمور رغم طيبة قلبها.

نادية قائلة بود:

- هتروحي الجامعة النهاردة؟

رفع عمر أحد حاجبيه تعجبًا من سؤال والدته غريب الأطوار ولكنها تحاول أن تفتح معها أي حديث كان.

نظرت لها بهدوء فهي مدركة لما تحاول أن تفعله والدتها وهو استرضائها:

- أيوة يا حبيبتي.. وهرجع إن شاء الله على الساعة الساعة 3.

تمتمت نادية:

- إن شاء الله.. وهتيجي تلاقيني عملالك ورق العنب اللي بتحبيه.

استقامت الأخرى و اقفة وقالت وهي تُقَبِّل رأس والدتها:

- حبيبتي يا أمي.. ربنا يديمك نعمة في حياتنا ويباركلنا في عمرك إنتِ و أبي.

قالت ذلك وهي تُقَبِّل رأس والدها هو الآخر، ثم قالت وهي تخلل أصابعها في شعر أخيها:

- والأستاذ بتاعنا.. أخبار المذاكرة إيه؟

عمرو وهو يُقَبِّل يدها:

- خير بإذن الله.. زي ما وعدتِك.. هندسة إن شاء الله.

بابتسامة قالت :

- إن شاء الله يا حبيبي.. ربنا يوفقك ويحققلك أحلامك ويستعملك لخدمة دينه.

ثم اتجهت إلى المرآه تضبط وضع نقابها وهي تقول:

- طيب أستودعكم الله.. همشي أنا بقى عشان هتأخر.

فقالت نادية:

- إنتي برضه هتنزلي بالنقاب!!

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

قالها والدها تاركًا ما كان يتناوله ثم اتجه إلى الداخل.

فابتسمت الأخرى قائلة:

- أيوة يا أمي دعواتك بقى يا ست الكل.

وأغلقت الباب وهي تهز رأسها في يأس من تغير وجهة نظرها عن النقاب.

وصلت إلى أسفل بنايتها عندما التقت بإحدى جاراتهم، ألقت عليها السلام وسألتها عن حالها فردت الجارة:

- الحمد لله يا أميرة.. بخير.. بنت حلال كنت لسه حالًا طالعالكم.

أميرة: خير يا طنط؟

الجارة بتعجب:

- طنط؟! وماله.. لأ مفيش.. كنت طالعة أعزمكم على خطوبة سارة بعد بكرة إن شاء الله.

ثم استطردت قائلة وهي تشير إلى أمر ما:

- أصلها خلاص بقى هتعدي 21.. مينفعش نأجل أكتر من كده تكون عنست لا سمح الله.

ردت عليها بهدوء وهي تتغاضى عن إهانتها المُتعمدة:

- مبارك عليها يا رب.. ربنا يتمملها بخير.

ردت الأخرى قائلة كمن تحاول نصحها:

- يا رب و إنتي يا حبيبتي.. سيبك من البتاع ده.. هو اللي مِوَقَّف حالِك والبسي كده زي البنات اللي في سنك عاوزين نفرح بيكي.

ردت بنفس الهدوء و ابتسامة بسيطة رغم ما سببته كلماتها من ألم في قلبها:

- لأ يا طنط.. حالي لسه ربنا مأذنش إنه ييجي.. ولما ربنا يأذن هييجي ومش هيتأخر دقيقة بإذنه سُبحانه.

ثم نظرت إلى ساعة معصمها قائلة في تعجل:

- عن إذنك أنا عشان عندي محاضرة.

قالت الأخرى وهي تلوي شفتيها:

- اتفضلي يا حبيبتي.

فدائمًا ما كانت تغار من تفوق أميرة الدائم على ابنتها مروة التي بعمر أميرة، وزادت حدة هذه الغيرة بعد أن عُينت أميرة معيدة بالجامعة وكانت لا تترك أي فرصة لتضايقها بالكلام كنوع من

التقليل وبيان أن ابنتها أفضل منها فهي تزوجت أما أميرة فعلى حد قولها عانس.

* * * *

كانت على وشك الدخول إلى قاعة المحاضرات عندما وصل إلى سمعها صوت إحدى الفتيات وهي تقول ضاحكة باستهزاء:

- هي الدكتور العانس هي اللي علينا؟!!

الفصل الثالث

ضربتها جملتها تلك في مقتل، شعرت بنصلٍ حاد ينغرس في قلبها ولكنها كالعادة تمالكت نفسها ودعت الله أن يعينها أن تتماسك حتى تعود إلى غرفتها فتبكي كما تشاء.

دلفت إلى القاعة التي عمها الصمت المطبق بعد الهرج والمرج الذي كان يملأها، ألقت السلام بعد أن اتخذت موضعها المخصص ثم نظرت إلى ساعة معصمها قائلة:

- باقي حوالي 10 دقائق والمحاضرة تبدأ.

نظرت إليهم قليلًا ثم استطردت في هدوء:

- إيه رأيكم ندردش شوية؟

لاقت قبول لاقتراحها فقالت:

- فيه كلمات كتير بنستخدمها مش عارفين أصلها إيه.. ولا عارفين هل هي مناسبة.. يعني بتتقال في موضعها الصحيح ولا لأ بنتناقلها بس من بعض.

صمتت قليلًا ثم استطردت:

- على سبيل المثال كلمة "عانس" حد عارف هل هي موجودة بنفس اللفظ ده في الشرع ولا لأ؟

كانوا ينظرون إلى بعضهم البعض ومنهم من أخفضت رأسها

خجلًا فمن المؤكد أنها استمعت إليهم وهم ينعتونها بذلك.

عندها قالت إحداهن:

- عذراء؟!

أميرة: صح.. قربتي بس في كلمة لها معنى أجمل وأدق.. حد عارفها؟

قُبل سؤالها بالنفي فأجابت:

- "أيم" أو"بتول".. «اَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ».. كلمة جميلة جدًا.. "بتول" يعني تتبتل إلى الله، يعني منقطعة للعبادة.. أكيد كلنا عارفين إن الزواج مسؤولية كبيرة ممكن يأثرفي العبادة مع إنه مش حِجة.. عبادة الله قبل كل شيء وإن اختلفت مقامات العبادة، لكن لازم نجاهد عشان نستزيد.. ومنقصرش في الأساسيات على الأقل، فأيًا كان مينفعش أي واحدة ممكن يتأخر زواجها ننعتها "بالعانس" كإهانة ليها.. ممكن نستبدلها زي ما قلنا بكلمة "بتول" وده معنى أحلى بكتير على فكرة.. لإن إنتي مش عارفة إيه سبب تأخر زواجها.. مقام العبادة الذي أقامها الله به الآن هو إيه.. نوع الاختبار الذي يصلح منها ويستخلص منها كل المقامات التي لم تكن لولا هذا الابتلاء هتخرج منها.. فلذلك أيًا كان سبب التأخير فهو خير.. سواء كان

زوج صالح أحسن من كل اللي اتقدملها أو إنها غير مؤهلة حاليًا للزواج والمسؤولية دي.. وربنا كاتبلها الرزق ده في الوقت اللي هتقدر فيه على المسؤولية دي.. ممكن أصلًا يكون ثوابها إنها تلحق بالفردوس الأعلى تلاقي نفسها زوجة الشهيد الفلاني أو النبي الفلاني.. شايفين الثواب شكله إيه؟!

كانوا ينظرون أرضًا خجلًا منها فابتسمت هي قائلة كمحاولة لتجاوز الأمر:

- يلا نبدأ محاضرتنا.

* * * *

دلفت إلى غرفتها بعد يومٍ شاق أُنهك فيه قلبها قبل جسدها من الضغوط التي يضعها الجميع على كاهلها، تمددت على فراشها تبكي ،لم يمر يوم بسلام دون أن يعكر أحدهم صفوها، لا تعلم كيف صمدت ولم تنهار باكية من كم الضغوط التي وضعت فيها اليوم، هي راضية بقدرالله لها أيًا كان فهي تعلم أن قدره كله خير فتصبر وتحتسب وتعلم أن هناك مَن أشد منها كربًا ولكن لِمَ لا يتركونها وشأنها؟! تعبت وفاض بها الكيل.

استقامت لتتوضأ ثم شرعت في الصلاة داعية الله أن يقرعينها ويرضى عنها وأن يرزقها زوجًا صالحًا، قالت كل ما يجيش

بصدرها، كل ما يؤرقها وكل ما أتعب قلبها، وما إن أنهت صلاتها حتى شعرت بالسكينة والهدوء، وصل إلى سمعها طرقات على باب غرفتها ثم أطل والدها بوجهه البشوش قائلًا:

- ممكن أميرتي تسمحلي بالدخول؟

استقامت و اقفة وهي باسمة ثم توجهت له بعد أن قامت بطي سجادتها ووضعتها جانبًا ثم أمسكت بكفه قائلة في مودة وبصوت هادئ:

- لأ يا حبيبي.. إنت تدخل وقت ما تحب.

قَبَّل جبينها قائلًا:

- ربنا يباركلي فيكي يا حبيبتي.

ثم اتجهوا للجلوس ونظر لها قائلًا بتفحص:

- في حاجة مزعلاكي يا أميرة؟

هزت رأسها علامة للرفض، مد أبيها كفه إلى إحدى وجنتيها قائلًا:

- يا أميرة مفيش حد عارفك قدي.

ثم استطرد ضاحكًا:

- ولا إكمني كبرت حبة وعجزت حبتين فكرتي إني خلاص راحت عليا!

عقب جملته ارتمت بين أحضانه تبكي وتبكي حتى أفرغت كل ما بعجبتها ويعكر صفوها، كان الآخر يربت عليها فقط تاركًا لها المجال تبكي كيفما شاءت، يعلم أنها لا تبكي بسهولة وتدخر كل أحزانها حتى تكون وحيدة.

رفع وجهها بكفيه وهو يربت على وجنتيها في حنو:

- أنا عاوز أميرة بنتي القوية.. البطلة اللي بتحاربنا كلنا عشان دينها و مبادئها.. اللي كلنا متأكدين إنها على حق.. مش عاوز أشوفك بالضعف ده تاني.. عارف إنك اتحملتي كتير بس إن شاء الله على قد تحملك ده ربنا هيكافئك.. وعاوزك تعرفي إني فخور بيكي جدًا وإن كل اللي بيسمَّعوكي كلام دول فارغين من جوة.. سابوا كل حاجة إنتي حققتيها وبتحققيها ومسكوا في حاجة صغيرة إنتي ملكيش يد فيها ولا شطارة منهم ده رزق وله أوان.

ثم قَبَّل رأسها قائلًا:

- ماشي يا أميرتي؟

ابتسمت قائلة:

- ماشي يا أميري.

حسين بضحك:

- إلا والدتك.. بقالي مدة مسمعتش صوتها.. فِكرك تكون

مسكت في عمر؟

- حســـــــين!!

-لأ أنا كده اتطمنت.

ضحك كلاهما ثم اتجهوا إلى الخارج.

* * * *

كان مصطفى في أحد المواقع التي ينفذ بها أحد المخططات الهندسية التابعة للمكتب ويقوم أيضًا بالإشراف على العمال، كان يرتدي إحدى القبعات الواقية عندما رن هاتفه كانت والدته المتصلة فأجاب قائلًا:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. إزيك يا أمي؟

وعلى الجهة الأخرى كانت والدته سُمية:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. لأ يا حبيبي.. خير متقلقش.

ثم سألت بتوتر:

- إنت قدامك كتير وتخلص؟

قال مصطفى بترقب:

- على حسب.. حاجة مهمة ولا زي كل مرة!!

قالت وهي تتصنع الابتسام أمام صديقتها وابنتها من بين

أسنانها وبصوت خفيض:

- لأ يا حبيبي زي كل مرة.. هستناك في الكافيه اللي بتروحه إنت وياسين.

ثم أغلقت دون أن تعطيه فرصة للتحدث.

زفر بضيق وهو يتجه إلى مقر عملة الرئيسي، خلع خوذته ثم جلس بتعب قائلًا:

- ياسين.. تابع مع العمال الوقت الباقي.. أنا ماشي.

قال ياسين بتعجب:

- في حاجة ولا إيه؟!

أجاب بضيق وهو يتجه إلى الخارج:

- كالعادة يا ياسين.. عروسة.

استمع إلى ضحكات ياسين المدوية وهو في طريقه للخارج، يزفر في ضيق، يجب أن يجد حلًا لهذا الأمر، يريد ألا يُغضب والدته لكن الأمر زاد عن حده ما يكاد يمر الأسبوع وتأتي "بعروس"! فيجب أن يجد حلًا وفي أسرع وقت.

* * * *

في أحد الكافيهات المطلة على النيل.

سمية: مش عاوزة أقولك يا حبيبتي.. مصطفى شاطر قد إيه في

شغله.. مبيقدروش يستغنوا عن وجوده.

قالت الأخرى بصوت رقيق بعد أن تبادلت ابتسامة خفيفة مع والدتها:

- شوقتيني أشوف أستاذ مصطفى يا طنط.. أكيد لو شبهك هيكون قمر.

اندهشت سمية من جرأتها وقبل أن تتفوه بشيء قاطعها وصول مصطفى ملقيًا السلام.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

استقامت والدته قائلة مرحبة به:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم أشارت إليه قائلة بابتسامة خفيفة:

- أعرَّفكم يا جماعة.. مصطفى ابني.

مدت الفتاة يدها حتى تصافحه ولم ترفع بصرها عنه تتفحص ملامحه التي لاقت إعجابها، حتى هذه اللحية رغم أنها لا تفضلها ولكنها زادته وسامة، لكنه لم يرفع بصره إليها معتذرًا بلباقة:

- آسف بس مش بسلم.

فسحبت الأخرى يدها في إحراج يتخلله الضيق.

ابتسمت رحاب "صديقة سمية" بود قائلة:

- بس ما شاء الله يا سمية.. عرفتي تربى.

أما هو فكان يجلس كالمعتاد يشعر بالضيق والملل من الحديث المتكرر عندما وصل إلى سمعه ما قالت والدته.

سمية بابتسامة:

- يا رب يا حبيبتي ويباركِلك في ماهيتاب.

قال وهو يحدث نفسه:

- ماهيتاب؟؟!!

الفصل الرابع

أما هذه ال ماهيتاب فلم تحيد ببصرها عنه وقالت بصوت مائع:

- وحضرتك يا أستاذ مصطفى بتروح مو اقع وكده ولا كل شغلك في المكتب؟!

قال باختصارو هو لا ينظر إليها:

- غالبًا في المكتب بس أحيانًا بنضطر نتابع الشغل في المو اقع.

فأكملت الأخرى بنفس الصوت:

- يعني أغلب شغلكم تصميم.. على كده بقى بتحب الرسم؟

أجاب قائلًا وقد طفح به الكيل:

- لأ.

ثم نظر إلى ساعة معصمه قائلًا في سرعة قبل أن تفتح أي حوار آخر:

- طيب يا أمي أنا عندي معاد مهم حاليًا.. تحبي أوصلك البيت ولا تفضلي وتيجي وقت ما تحبي؟

نظرت له والدته زاجرة بعينيها فرفع هو كتفيه علامة أن الأمر خارج عن إرادته.

في السيارة.

كانت تجلس بالكرسي المجاور له عندما قالت بضيق يشوبه العتاب:

- ينفع الإحراج اللي سببتهولي ليا وللناس ده يا مصطفى؟! ده اللي علمتهولك؟! ماشي يا مصطفى.. وكل أما أجبلك عروسة تطفشها بالمنظر ده!! حرام عليك يا ابني.. أنا عاوزة أشيل عيالك قبل ما أموت و....

أمسك الآخر بكفها وهو يتابع القيادة وقام بتقبيله قائلًا في حنو:

- بعد الشر عنك يا سوسو.. يا حبيبتي ربنا يديمك نعمة في حياتي.. بس يا أمي حضرتك ميرضكيش إني أتجوز واحدة مش شايف فيها ولا صفة واحدة من اللي أنا عاوزها ولا تشبهي ولا تشبه تفكيري.

ثم تابع بمزاح:

- يعني هيرضيكي لما أتجوزها وأرجعلك مُطلق!! يرضيكي يا أم مصطفى؟!

سُمية بابتسامة من مزحته:

- أيوة ثبتني بكلمتين.. بذمتك دي مفيهاش ولا صفة من اللي

بتدور عليها!! تنكر إنها جميلة؟ بلاش دي.. كل اللي جبتهم مفيش ولا واحدة فيها الصفات اللي بتدور عليها؟!

- ماشي يا أمي هفترض إنها جميلة و إن جمالها ده طبيعي مثلًا مفيش طفل صغير لعب في وشها بعلبة ألوان لا سمح الله!! بس مش ده الجمال اللي بدور عليه.. اه الشكل مهم بس اللي بيغلب عليه الجوهر.. الروح.. جمال غير متصنع.. جمال قبول من ربنا (عزوجل).

ثم قال بامتعاض مش علبة ألون! أهي علبة الألوان دي والمظاهر الخداعة اللي موديانا ورا الشمس.. هي تلبس معرفش إيه وتتشيك وتتعامل برقي وأدب وأخلاق ووِد وعطاء وهو معرفش عامل إيه في شعره و إيه تاني في بنطلونه وكل المظاهر والتكلف ده بيبان حقيقته بعد الزواج وبيكون مصير اللي بيتجوز على الأساس ده في الأغلب (الطلاق).. عشان اتجوزوا الشكل مش حاملين هَمّ رسالة ولا قضية ولا أي حاجة.. المهم عندهم الأجنحة الملونة (الشكل)!

ثم استطرد بتنهيدة بعد أن صف السيارة أمام منزلهم:

- فهماني يا أمي؟

قالت وهي تنظر إليه وقد ظهرت عليها علامات الاقتناع:

فهماك.. فهماك يا آخرة صبري.

قهقه ضاحكًا وهو يقوم بتقبيل رأسها:

- آخرة صبرك! خير إن شاء الله.. دعواتك إنتي بس يا سوسو.

نظرت إلى الأعلى رافعة يدها:

- يا رب.

* * * *

في منزل سندس.

أميرة بحنو وهي تجلس مع سندس في غرفة المعيشة:

- أخبارك إيه يا حبيبتي إنتي والولاد؟ مش متصورة وحشوني إزاي ولاد الذينَ.

أجابت بابتسامة بسيطة حاولت رسمها:

- الحمد لله يا حبيبتي بخير.

نظرت لها أميرة مليًا نظرة تستحثها على إخراج كل ما يعتمل بصدرها ولم تمر لحظات إلا وأدمعت عيني سندس قائلة:

- لأ مش بخير.. مش قادرة يا أميرة.. حاسة إني مش هقدر أكمل.. حاسة إن الدنيا اسودت حوليا وإني في مكان ضلمة.. مش عارفة أخرج منه.. خايفة مقدرش أربي ولادنا زي ما كان عاوز.. حاسة إن كل حاجة ضدي.

ثم انهارت في نوبة بكاء، أخذت أميرة تُربت عليها وتبكي من أجلها فهي ابنة خالتها وأختها في الرضاعة وصديقتها الوحيدة منذ الصِغر.

قالت بصوت باكٍ حاولت عدم إظهاره وهي تحتضنها:

- حبيبتي إنتي قوية بالله.. إن شاء الله ربنا هيعينك اصبري (لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها) و إنتي بإذن الله هتقدري.

صمتت قليلًا عندما هدأ بكاء الأخرى في أحضانها ثم أكملت:

- تعرفي يا سندس.. فيه واحدة أخدت الترتيب التاني على البشرية في الدخول للجنة.

كانت الأخرى تستمع لها منصتة عندما أكملت:

- في حديث للنبي ﷺ: أنا أول من يِفتح له باب الجنة، إلا أنه تأتي امرأة تبادرني، فأقول لها مالكِ؟ من أنتِ؟ فتقول: أنا امرأة قعدتُ على أيتام لي.

اعتدلت سندس وهي تنظر لها وقد هدأت شهقاتها وهي تستمع لها بإنصات، أكملت أميرة قائلة في هدوء ورسمت ابتسامة صغيرة وهي تقول:

- شفتي الثواب أد إيه؟ الابتلاء صعب بس إن الله لا يعطي أقوى المعارك إلا لأقوى الجنود.. اصبري واستعيني بربنا و إن شاء الله

يكونوا ذي ما كنتوا بتتمنوا وأحسن.. كفاية إنِك دلوقتي بتوكلي أمر تربيتهم على الله وحده.. ربنا اللي هيربيلك أولادك ولن تركني لنفسك أو لزوجك.. ده اصطفاء والله وتعديل البوصلة اللي كانت هتحيد.. سيدنا محمد ﷺ كان يتيم.. ربنا خَلَاَهُ من كل حد ممكن يغرس فيه تربية الجاهلية أخلصه.. في الظاهر إنه منع.. ولكنه كان قمة العطاء.. وكِلي أمرِك لله ولن يخيب أبدًا.

كانت قد هدأت بعد كلمات أميرة تلك وظهر عليها التأثر الشديد، دخلت رفيدة مقاطعة إياهم بامتعاض ونبرة طفولية لمضة:

- مش يلا بقا يا خالتو أميله (أميرة)؟ إنتي قولتي شوية.

والشوية دول كتلوا (كتروا) أوي!!

ضحكت كلٌ من سندس و أميرة فقالت أميرة وهي تتجه إليها وهي تقرص خدها في حنو:

- نفسي أعرف إنتي طالعة لمضة لمين يا بنت إنتي؟

- ليكي أكيد يعني.

بذهول مصطنع قالت:

- ليا أنا؟! طيب خدي هنا.

قالتها وهي تركض ورائها والأخرى تضحك بملء شدقيها.

* * * *

بعد أن أنهت المحاضرة وأذنت للطلاب بالخروج نادت على إحداهن بعد أن لفت انتباهها شيء غير مألوف.

أميرة بهدوء:

- نور مش كدا؟

أومأت الأخرى.

- طيب ممكن تقعدي؟ عاوزة أكلمك في حاجة.

جلست الأخرى بتوتر وهي تنتظر ما تريد قوله لها، انتظرت أميرة قليلًا حتى فرغت القاعة من الطلاب ثم التفتت لها قائلة بهدوء:

- ليه قلعتي النقاب يا حبيبتي؟!

نور بملامح حزينة:

-, تعبت يا دكتور.. تعبت من كُتر الضغط اللي بتحط فيه.. و أي مشكلة تحصل يقولولي ما عشان لابسالي الخيمة دي.. والدتي كل ما تشوف وشي تقولي هتفضلي قاعدالي و هتعنسي و....

- وشكلك كبير وعيشي سنك زي البنات ومحدش هيتقدملك بالمنظر ده!!

نور بدهشه:

- أيوه بالظبط ده اللي بيحصل.. حضرتك عرفتي منين؟

رفعت أميرة نقابها فذهلت الأخرى من جمالها نعم ليس

بالفاتن، جمالها عادي ولكن ما جذبها الراحة والسكينة والقبول الذي شعرت بهم عندما نظرت إلى وجهها، قائلة بهدوء:

- بصي يا نور تقريبا 90% من المنتقبات بتتوجهلهم الانتقادات دي من مبدأ إنه مش فرض وهو سُنَّة مع إن العلماء اختلفوا يعني هو سُنَّة.. بس في علماء قالوا إنه فرض.. لأ و الجديد إنهم نقلوا على الحجاب حاليًا.. فهل معنى كده إن كل دول يقلعوا النقاب؟!

هزت الأخرى رأسها علامة الرفض قائلة:

- لأ طبعًا بس الضغوط كتيرة جدًا يا دكتور و من كل اتجاه.

- أيوة يا حبيبتي عارفة بس خلي بالِك صبرِك على الأذى ده جهاد لازم تجاهدي وتدعي ربنا يرد عنك.. تتحملي وتكوني بطلة في دينك.. بطلة رغم كل حاجة وكل تحدي يواجهك لأنه مش هيكون الأخير.. ولو مشينا ورا كلام الناس هيخسَّرونا ديننا والعياذ بالله.. الناس دي اللي بتقول للبنات لاغوا و اتكلموا وخليكم أوبن ماينـد عشان تتجوزوا إنتوا كده معقدين ومعندكوش مشاعر.. إنتوا أصلًا متصلحوش للزواج.. ووو...

ثم قالت مازحة:

- كلام كتشير أوي يا أختاه.

ابتسمت كلتاهما ثم استطردت أميرة:

- كمان في نقطة مهمة جدًا.. الزواج ده رزق من ربنا.. مش شطارة من حد ولا اجتهاد منه.. ده الرزق اللي ربنا مقدره وكاتبه من قبل ما الإنسان حتى يتولد.. فهل ارتداء النقاب ده اللي هيمنع الرزق مثلًا! أو الرزق ممكن ناخده بمعصية الله؟!

صمتت الأخرى وهي ترى معها كل الحق فيما قالت فأكملت:

- أنا كده خلصت كل اللي عاوزة .. أتمنى أكون وصلتلك قصدي و أتمنى من قلبي إني أشوفِك بالنقاب مرة تانية.

أومأت لها الأخرى دامعة ثم قالت:

- جزاكِ الله كل خير يا دكتور.

ربتت على كتفها قائلة:

- جزاكِ الله خيرًا أفضل منه حبيبتي.. ربنا يبصرك بالخير ويهديكي إلى ما يحب ويرضى.. أنا عاوزة أشوف البطلة بتاعتنا مرة تانية على الساحة بتحارب عشان دينها.. عاوزة أشوف "بطلة رغم كل شيء".

الفصل الخامس

في سيارة ياسين كان يتوجه إلى المدرسة ليأخذ أولاد أخته بعدما عرض عليها أن يأتي بهم اليوم ويمر عليها اليوم كان بجانبه مصطفى فقد تعطلت سيارته وعرض عليه ياسين أن يوصله.

مصطفى بضيق:

- طيب أنا ليه مستنيك!! ما كنت آخد أي تاكسي بدل اللفة دي كلها!!

قال ياسين ضاحكًا في محاولة لاستفزازه:

- ودي تيجي يا دَرش! تروح مواصلات و أخوك موجود!

ثم قال بترفع:

- وبعدين ده إنت تحمد ربنا إني هخليك تشوف ولاد أختي القمرات دول بلسم.

رد الآخر بامتعاض:

- أكيد طالعين لخالهم.

ياسين بزهو مصطنع:

- تُشكرات.. تُشكرات.

بعد قليل وصل الأطفال وجلسوا في الكرسي الخلفي من السيارة، فسألهم مصطفى:

- قولولي يا ولاد إنتوا مستحملين خالوا ياسين ده إزاي؟! بتتعاملوا معاه بأنهي طريقة؟!

أحمد في ضيق طفولي:

- أمي طول اليوم بتفضل تزعقله.. يااااســين.. يااســين.. وهو مش بيسمع الكلام يا عمو.

دوت ضحكات مصطفى:

- حتى في البيت عامل مشاكل! جبتش حاجة من عندي أنا.

قال ساخرًا:

- كركركر أي يا ظريف منك له! و إنت يا أبو شِبر ونص كده تشمّته فيا! ماشي إن ما وريتك.

وكان رد الآخر عليه أن أخرج له لسانه في مناغشة طفولية.

- يلا يا خالوا امشي بسلعة (بسرعة).. عاوزة أقعد مع خالتوا أميلة (أميرة) كتييل (كتير).

كان هذا صوت رفيدة التي قاطعت مشاغباتهم بزهق.

ياسين في جدية لأحمد:

- أميرة جاية عندكم النهاردة؟

فأومأ أحمد مو افقًا، فقال بجدية وهو ينتبه للطريق:

خلاص إحنا على وصول.

* * * *

في منزل سندس.

ياسين وهو يُقَبِّل رأسها في مودة أخوية:

- أخبارك إيه يا حبيبتي و أخبار العيال دي معاكي إيه وخصوصًا الولد اللمض ده؟

قام أحمد بإخراج لسانه له ثم اتجه إلى الداخل.

قهقهت سندس قائلة:

- بخير الحمد لله بس...

ثم قالت بنصف عين:

- اللماضة دي مش جايبها من بره!

نظر لها شذرًا وهو يأكل من الفاكهة الموضوعة على السفرة في نهم عندما قالت وهي تجلس:

- أخبارك إنت ومرام إيه؟

قال وقد ظهرت علامات الامتعاض على وجهه:

- الحمد لله يا أخت سندس.. أديها مطلعة عيني وسَدَّه نِفسي وحسبي الله في الظَلَمَة.

ثم أخذ قضمة من ما يأكله.

قالت في دهشة وهي ترفع حاجبيها:

- سَدَّه نِفسك!! لأ واضح ما شاء الله.. وهي برضه اللي ظَلَمَة!!

ده إنت زمانك مطلَّع عنيها! ربنا يتولاها.

ثم استطردت:

- طيب مجبتهاش معاك ليه؟ كنا اتغدينا كلنا سوا.. ده حتى أميرة جاية تقضي معانا اليوم.

انتفض الآخر تاركًا ما بيده في فزع وقد تذكَّر أمر مصطفى الذي تركه في السيارة فاتجه إلى باب المنزل في سرعة قائلًا:

- مكنش يومك يا ياسين.. هيلبسوا عليك مخطط وكروهات يا ياسين

- إيه يا ابني فيه إيه؟!

قال ياسين في سرعة وهو يتجه صوب الباب:

- مصطفى نسيته تحت.. المفروض كنت نزلتله من بدري.. بس إنتي رغاية.

قالت في دهشة:

- أنا اللي رغاية برضه!! طيب اتصل عليه قوله يطلع يتغدا وبعدين امشوا.

- لأ مش هينفع النهاردة.

قالت وهي تتصنع الحزن:

- طيب شكل أميرة هتستولى على ورق العنب لوحدها..

يا خساااارة.

قال بتفكير:

- تصدقي عيب يمشي من غير ما يتغدا.. لأ اخص عليا فين آداب الضيافة يا ياسين! ده إنت أبو المفهومية كلها!

ثم أغلق الباب وذهب ليخبر الآخر أن يصعد لهم.

أما في السيارة فكان مصطفى يَودُّ الفتك بياسين، فبعد أن تركه الكثير من الوقت يطلب منه الصعود ومشاركتهم وجبة الغداء معللًا أن أخته من أصرَّت على ذلك فنزل من السيارة متجهًا إلى بنايتهم كما وصف له ياسين ثم قال من بين أسنانه:

- ماشي يا ياسين بس لما تقع في إيدي!

أما أسفل البناية فكانت أميرة على وشك دلوفها وفي نفس الوقت كان مصطفى قد وصل أسفل البناية عند المدخل مباشرةً فتراجعت أميرة عدة خطوات حتى تسمح له بالدخول.

قال وقد كان خافضًا لبصره:

- لأ اتفضلي حضرتك الأول.

قالت الأخرى بصوت خفيض:

- لأ اتفضل حضرتك مش هينفع أطلع قدامك!!

تنحنح مصطفى بحرج ثم دلف للمبنى متوجهًا كما وصف له

ياسين، عندما وصل إلى الشقة المنشودة وقام بضرب الجرس فوجئ بها خلفه ولكن سرعان ما غض بصره، عندما فتح ياسين الباب تفاجئ من وجود مصطفى وعلى بُعد خطوات كانت تقف إحدى المنتقبات فقال ببلاهة:

- إيه ده إنت اتجوزت إمتى؟! بقى أسيبك خمس دقائق تتجوز فيهم!! طب مش تعزمني يا راجل!! لأ اخص عليك.. وعلى كده خلفت بقى ولا لسه؟

شعرت أميرة بارتباك ومصطفى يود تكميم فاه هذا الأبله، عند هذا الحد قامت رفيدة بالإنطلاق كالقذيفة باتجاه أميرة وهي تصيح:

- خالتوا أميلة جات.. خالتوا أميلة جات.

فقال ياسين:

- معلش يا أميلة.. أأ.. أقصد يا أميرة! ادخلي.. سندس مستنياكي جوة.

لم تنطق ببنت شفة و اتجهت للداخل، كان مصطفى يتابع حوار ياسين معها ويستعجب من إزالة الألقاب والتحدث بأريحية، ترى ماذا تقرب له ولِمَ يتحدث معها في راحة هكذا؟ فيتضح من التزامها بالزي الشرعي الكامل أنها ليست ممن يتساهل في

الحديث مع أجنبي ولوكان على درجة من القرابة، والذي يعرفه أن لياسين أخت شقيقة واحدة فمن تلك؟! ماذا؟ وما دخلك أنت يا مصطفى؟!!

أعدَّت سندس طاولة للرجال بالخارج و أخرى لهم.

بعد تناول الغداء.

صاحت أميرة في فرحة:

- بجد يا سندس هتقدمي في علوم شرعية؟!

أومأت سندس موافقة.

احتضنها أميرة قائلة:

- طيب دي بجد أحلى مفاجأة بعد ورق العنب.

ثم قالت بملامح متبرمة قليلًا:

- أي نعم ياسين خلص على تلاتة أربعة.. بس مش مشكلة.

ثم تذكرت قائلة:

- شفتي ياسين الله يهديه أحرجني قدام زميله.. حسبي الله فيه.. الله يكون في عون مرام بجد.

ثم استطردت بحماس:

- المهم دلوقتي احكيلي هتبدأي إزاي وهتعملي إيه؟ إيه رأيك ننزل نجيب الكتب؟ بصي إنتي ممكن تقدمي من السنة اللي

جاية إن شاء الله ومش هتحتاجي تمهيدي عشان إنتي حافظة القرآن.

قالت الأخرى ضاحكة من حماسها:

- بالراحة يا أميرة أنا لو أعرف إني دراستي في الكلية دي هتفرحك بالطريقة دي كنت أخدت الخطوة دي من زمان.

بنبرة يشوبها التأثر:

- تعرفي يا أميرة.. الحياة جميلة أوي وسهلة بالقرب من ربنا (عز وجل) بتحسي إن كل حاجة جميلة ويسيرة.. ومهما كانت ظروفك صعبة والحياة جرحت فيكي احساس إن ليكي رب تشكيله همِّك وتوكليه في أمورك ده كفاية أوي إنه يخليكي سعيدة ومش شايلة همّ حاجة وحاسة إنك مالكة كل حاجة.. بس إحنا اللي بنصعبها على نفسنا بِبُعدنا عن طريق الله.. ربنا جميل أوي وقريب أوي وودود و أقرب حد ليكي من ابنك.. من زوجك.. من أمك.. من كل الناس ومن كل شيء.. بجد المحروم فعلًا اللي بعيد عن طريق اللي ربنا مش صاحبه في الحياة.

ابتسمت أميرة وقد أدمعت عيناها من جميل الكلمات التي خرجت على لسان سندس وحمدت الله أن سندس رضيت وجُبرت وعرفت الغاية الحقيقة وراء ابتلائها.

* * * *

في سيارة ياسين.

كان ياسين يقود وهو يحدث مصطفى الشارد في أمر ما عندما انتبه على صوت ياسين:

- يا دَرش.. إنت يا ابني رُحت فين؟!

- معاك.

قال ساخرًا:

- لأ واضح جدًا إنك معايا.. إيه اللي واخد عقلك؟

تغاضى عن سؤاله قائلًا:

- هي أميرة دي تقربلك إيه؟

ضيق عينيه في ترقب ثم قال:

- أميرة بنت خالتي.

وصمت عندما ظهرت أمارات الضيق على وجه الآخر فاستطرد:

- وأختي في الرضاعة.

سُرعان ما تهللت أسارير مصطفى فسأل:

- طيب هي مخطوبة أو متزوجة؟!

بترقب أجاب:

- لأ.

قال بنفس النبرة:

- ليه؟

ياسين رافعًا حاجبيه:

- هو إيه اللي ليه؟!

مصطفى زافرًا في ضيق:

- مش متزوجة أو مخطوبة ليه يا بني آدم!

- محصلش نصيب.. أصل أميرة دماغ لوحدها.

ثم زفر في ضيق فليس مصطفى من ينظر لأهل بيته، هو يثق في دينه وأخلاقه فسأله بترقب:

- بس إنت بتسأل ليه؟

- نويت خلاص.

- نويت؟! نويت على إيه؟

ابتسم مصطفى حتى بانت نواجذه:

- كل خير يا ياسو.. كل خير.

الفصل السادس

كانت تقف في مكان واسع تحفُّه الأشجار، لا تعلم أين هي؟ وما ماهية هذا المكان! تلفتت حولها تبحث عن مخرج، كانت كالبدر تشعّ نورًا بردائها الأبيض الفضفاض ونقابها كان من نفس اللون، وجدت باب أخيرًا لتركض إليه دون ذرة تعقُّل وما كادت تفتحه إلا ودفعتها رياحٌ شديدة قهقرتها إلى الخلف مسافة لا يُستهان بها، ظلت تبكي وتنزف إلى أن وجدت بابًا آخر فاندفعت إليه تفتحه وكانت النتيجة رياح أقوى زادت من نزيفها وكذلك فعلت بالباب الثالث والرابع حتى أصبح ردائها الأبيض ملطخ بالدماء، جثت على ركبتيها باكية لا تقوى على الحراك تحاول منع نقابها من السقوط بشتى الطرق، بعد أن ثبتت نقابها جيدًا وجدت باب آخر جذبها بطريقة كمن يناديها أن تقترب فحسب، ولكنها أبت الاقتراب فقد فهمت الخديعة فكل باب يستنزف من طاقتها جزء حتى باتت لا تقوى على شيء، بالتأكيد أن هذا الباب سيقضي عليها كليًا، ولكن مهلًا، كلما ابتعدت اقترب هذا الباب، تبعد هي ويقترب هو سمعت صوت خافت وكلما اقترب الباب اتضح الصوت أكثر، صوت يقول:

«متخافيش يا أميرة.. هو ده الباب.. ده جزاء صبرك».

اطمأنت، فاقتربت إلى أن وضعت كفيها المرتعشين على مقبض الباب وما كادت تلمسه حتى فُتح الباب على مصراعيه ولم تصيبها رياح، لم يصيبها شر، بل وجدت نورٌ يشعّ ويدٍ ممدودة لها، نظرت إلى صاحبها فوجدت وجه بشوش يبتسم لها ابتسامة بدت نواجذه بها ولكن مهلًا، هذه الملامح مألوفة بالنسبة لها، حاولت التركيز في ملامحه قليلًا فاتسعت عيناها عندما أدركت أنه هو! ماذا؟! م مصطفى؟!

ابتسم قائلًا: أيوة مصطفى.. زوجك.

قامت منتفضة من نومها من هذا الحُلم الغريب، استغفرت في سِرها حتى وصل إلى مسامعها صوت آذان الفجر، شردت قليلًا في هذا الحُلم وسرعان ما استفاقت ثم اتجهت للوضوء حتى تؤدي صلاتها داعية أن يكون خيرًا.

طوال اليوم يصاحب هذا الحُلم أفكارها، أنهت آخر محاضراتها للتو وجلست شاردة، قاطعت شرودها إحدى الطالبات التي أقبلت عليها قائلة:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. اتفضلي يا نور.

قالت نور بدهشة:

- عرفتيني إزاي يا دكتور؟

قالت ضاحكة:

- وهل يخفى القمر يا ست نور؟ إنتي بتنوري أي مكان تكوني فيه.. ولا عشان لبستي النقاب تاني مش هعرفك؟!

ابتسمت قائلة:

- من بعد ربنا الفضل لحضرتك جزاكي الله عني كل خير.

ثم صمتت ولم تضف كلمة، فاستنتجت أميرة أن هناك أمرًا ما، فبادرتها قائلة:

- شكل فيه حاجة مهمة عاوزة تقوليها.. ها يا ستي كُلِّي آذانٌ صاغية.

قالت بشيء من التوتر:

- بصراحة يا دكتور فيه واحد متقدملي وأهلي مُصِرّين إني أو افق.

فردت بفرحة:

- طيب كويس إيه المشكلة في كده؟

- أصله مش ملتزم وعاوزني أقلع النقاب.

بتهكم أجابت:

- كمان! الله يهديه.

صمتت قليلًا تُفَكِّر ثم قالت:

- بصي يا نور.. كون إنك تتجوزي حد مش ملتزم أو إنك تكوني أكتر تدينًا منه.. دي مخاطرة كبيرة لإن الست بطبيعتها عاطفية جدًا و بتتأثر بالراجل اللي بتحبه.. اللي هو زوجها يعني.. طيب لما يكون غير ملتزم وبيبيح حاجات كتير إنتي كملتزمة مش بتعمليها لإنها بتخالف تعاليم دينك.. هتلاقي نفسك بتنجرفي معاه وهتتخلي عن التزامك ده واحدة واحدة.. فديني غالي ميتحطش حتى في كفة مقابلة و إنتي لسه صغيرة و أكيد قدامك فرص.. إن شاء الله كتير يعني مفيش داعي تخاطري.. اتركي لله واستحملي لوم أهلك.. كل الأذى ده في الله فتُثابي عليه إن شاء الله.. فنصيحتي ليكي إنك تتكلمي مع والديكي بهدوء وتشرحيلهم وجهة نظرك.. وادعي كتير جدًا ربنا يرزقك الزوج الصالح الذي يعينك على صلاح دينك ودنياكي.

ثم قالت مبتسمة:

- أوك يا جميل؟!

ردت الأخرى بنفس الابتسامة:

- أوك يا جميل جزاكي الله كل خير.

* * * *

في منزل أميرة.

انتفضت و اقفة قائلة:

- مصطفى! مصطفى مين؟!

حسين بهدوء:

- معرفة ياسين.. ياسين اتصل بيا النهاردة وقالي إن صاحبه مصطفى طالب إيدك وعاوز ييجي يتقدم في أقرب فرصة.

شردت هي في حُلمها قليلًا ثم استأذنت بالذهاب إلى غرفتها دون تعقيب.

قالت نادية وهي تتجه إلى غرفتها في تبرم:

- و لو اتكلمت دلوقتي هكون أنا الغلطانة.. صبَّرني يا رب على البنت و أبوها.

أما هو فأسند ظهره إلى الخلف واضعًا كفه على جبينه في محاولة للتفكير بهدوء فأميرة ليست بها طاقة لتكرار نفس السيناريو ككل مرة.

في المساء كانوا يتهامسون أمام غرفتها عندما قال:

- استني بس يا نادية.. أنا هدخل الأول أتكلم معاها وأشوف قررت إيه وبعدين ادخلي إنتي.

فردت هامسة:

- لأ أنا هدخل معاك.. ما أنا عرفاك بتعوم على عومها.. لازم أحطها اقدام الأمر الواقع.. دي فرصة متترفضش.. وممكن تكون فرصتها الأخيرة.

قال هامسًا بحدة:

- هي كلمة أخيرة يا نادية.. أنا هدخل الأول أشوف الوضع إيه.. وبعدين ابقي ادخلي سِمِّي بدنها أو اقنعيها أيهما أقرب.

ثم قام بطرق الباب ودلف بعد أن سمحت له وأغلق الباب من وراءه.

نظرت باتجاهه عندما دلف إلى الغرفة مقتربًا حيث كانت وكان بيدها مصحفها، نظر إليها مليًا فوجد على ملامحها الصفاء والهدوء، جلس قليلًا ثم تحدث بهدوء قائلًا:

- ها مردتيش عليا في موضوع العريس! أرد على الناس بإيه؟

ثم استطرد عندما لم يجد منها جوابًا ظنًا منه أنها صامتة رفضًا ولكنها صامتة خجلًا:

- أنا عارف إنك استحملتي سخافات كتيرو...

أميرة مقاطعة وهي تنظر أرضًا:

- أبي أنا صليت استخارة وموافقة على الرؤية.

قالتها سريعًا.

ابتسم والدها بسعادة مُقَبِّلًا رأسها في فرحة عارمة:

- على بركة الله.

وما كاد يضيف المزيد حتى فُتح باب الغرفة وصوت زغاريد والدتها يدوي بالمكان.

ضحكت أميرة وهي تهزرأسها في يأس وعجب من والدتها، أما هو فقال ضاحكًا:

- هتموتني ناقص عمر حسبي الله.

* * * *

أتمت استعدادها للرؤية، أحكمت وضع نقابها الذي رفضت الدخول دونه لن ترفعه إلا إذا حدث اتفاق أما إذا لم يحدث، فما حاجته برؤية وجهها؟!

توجهت إلى الخارج تنظر أرضًا سلَّمت على والدته التي تعجبت خروجها بالنقاب، جلست في مكانٍ يستطيع من خلاله رؤيتها، وترك لهم الأهل مجال للحديث فكان يجلس والدها بمكان يراهم به ويتيح لهم فرصة للحديث بشيء من الخصوصية، ظلت نظراتها مصوبة أرضًا لا تعلم ماذا حدث فلسانها قد انعقد عن الحديث على عكس المرات السابقة

فكانت تتحدث بطلاقة وبأريحية، أما الأن فلا تقوى علي النطق بكلمة واحدة.

أما هو فكان يراقبها عن كثب وأشفق عليها فكانت تبدو كمن سيُغشى عليه من شدة الخجل، فبادر متحدثًا بابتسامة:

- طيب هتكلم عن نفسي شوية لإن شكلك محرجة.

عندما لم يجد ردًا منها أكمل قائلًا ببساطة:

- أنا مصطفى 32 سنة.. مهندس معماري.. بشتغل في مكتب هندسي هنا في القاهرة.. ابن وحيد.. والدي متوفي ووالدتي ربنا يباركلي في عمرها.. اللي سلمتي عليها من شوية دي.. ومعبرتنيش!

قالت أخيرًا في اختبارونبرة بها بعض الحدة:

- هو حضرتك بتسلم على ستات؟

رفع يديه كعلامة استسلام قائلًا بضحك:

- بريء والله يا باشا.. عمرها ما حصلت.

ابتسمت من أسفل نقابها على مُزحته ثم سألته عن رؤيته للزواج بشكل عام، أجاب مبتسمًا وقد لاقى سؤالها إعجابه، فهذا يدل على أنها إنسانة واعية فاهمة لما هي مُقبلة عليه:

- هدفي من الزوج إقامة بيت مسلم وإنجاب أولاد حاملين رسالة.. ينفعوا الدين والدنيا برفقة إنسانة اخترتها تكمل معايا

حياتي.. تعنِّي على أمور ديني ودنيتي.

ثم سألته عن رأيه في عمل المرأة؟

- والله أنا موافق على المبدأ لكن بضوابط معينة.

تابعته بعينيها، فأكمل هو:

- هدفها الأول هو أولادها وزوجها.. عارفة إنها راعية في بيت زوجها وإنها مسؤولة أمام الله.. إن على الأم المسلمة ليس ما على غيرها من مسؤوليات.. إنها تربي رجال لهذا الدين.. رجال يعملوا قدر تضحية الرسول ﷺ والصحابة عشان الدين ده يوصل ليهم.. وإنه وصلّهم على أشلاء الصحابة.. هل عملها ده لهدف ورسالة لدينها؟ أم ده نابع من الأفكار الغربية اللي بتزرع في أدمغة المسلمات دلوقتي من دعاة النسوية؟

ابتسمت لإجابته تلك، وعلمت أنه يعلم ماذا يريد وانه يسعى حقيقة لخدمة دينه.

ثم سألته عن مشايخه وعن دروسه التي يحضرها وعن طرق التربية التي يتبعها وتبادل كُلٌ منهما الأسئلة، حتى قال مصطفى براحة:

- أنا كده خلصت كل أسئلتي.. فيه أي حاجة تاني حابة تسأليها؟

ثم قال باسمًا:

- أنا متعصرتش.. آآ أقصد متسألتش كده في حياتي.

حاولت أن تمسك ضحكتها وألا تنفلت وضعت يدها على نقابها وقامت بإزاحته، نظر هو إلى ملامحها وكان أكثر من راضٍ، فالتفت له ناظرة لتجد الابتسامة تشقّ وجهه قامت بإسدال النقاب على وجهها مرة أخرى وسرعان ما غادرت خَجِلة.

طلب مصطفى أن يكون عقد القران بعد ستة أشهر، احتارت أميرة في بادئ الأمر ولكنها و افقت على ذلك بعد الاستخارة.

الخاتمة

- بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير.

تفوه المأذون بها بعد أن أتم عقد قرانهم مباركًا للعروسين، أصبحتْ الآن شرعًا وقانونًا زوجة له، فبعد صبرها جُبرت، وبعد بحثه وجد ضالته، المتقي دائمًا رابح.

«وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»

«ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا»

«وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا»

«وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»

حافظت هي حقه فيها، وحفظ هو الأخريات، فأُكرم بها.

* * * *

في غرفة جانبية بعيدة عن أجواء الاحتفال.

كان ينتظرها بفارغ الصبر، سكن كل شيء من حوله عندما أطلَّت عليه بهيئتها التي لم يرها من قبل، هيئتها تلك خلبت لُبَّه كما فعل تدينها وأخلاقها من قبل، فكانت ترتدي ثوبٌ من اللون البني اللامع يصل الكُم فيه إلى مرفقها، وطوله إلى كاحلها تاركة لخصلاتها العنان، وضعت القليل من الزينة بحيث أظهرت ملامحها فقط، لم تجرؤ على رفع عينيها خجلًا لم تتخطاه بعد.

اقترب إلى حيث كانت تقف، ينظر لها مليًا، ثم أمسك بوجهها يرفعه قائلًا:

- ما شاء الله تبارك الله.. النقاب كان مغطي كتير.. سبحان من حفظ النساء بالسِتر.

قالت بنبرة خفيضة خَجِلة:

- لأ مش للدرجة دي.

قال بابتسامة عذبة:

- لأ للدرجة دي.. أنا صبرت كتير يا أميرة.. بس مكنتش أعرف إن نهاية الصبر ده مكافأة.. ربنا كافأني بيكي وجمعني بيكي في حلاله.

ثم قال بامتعاض:

- لو تعرفي أنا استحملت أسماء شكلها إيه هتعذريني.. ماهيتاب وشاهيناز.. حماتك كانت بتجبلي ناس من الهند تقريبًا.

ضحكت بخفة من مُزحته تلك، خلبت لُبَّه تلك الضحكة عندما استطرد وهو ينظر لها ويحتضن كفيها الرقيقتين بين كفيه:

- بس ربنا عوضني بأميرتهم وأميرتي.

- أميرتك؟!

- أيوة أميرتي.. أميرتي أنتِ.

* * * *

بعد ثلاث سنوات من ذلك الوقت، كانت قد أطلقت أميرة ندوة دينية تُقام كل أسبوع، تتجمع بها النساء؛ جيرانها، صديقاتها والدتها، كانت والدة أميرة تجلس حاملة لصغيرين توأم وسندس كان بجانبها يجلس فتى يشبههم كثيرًا، فقد رُزِقَت أميرة بأربعة أولاد توأم؛ ثلاثة أولاد وفتاة، واضطرت أن تجلبهم معها لصغر سِنهم، أما الفتاة فكانت تجلس بجانبها.

قالت:

- عظيمات كملوا وصمدوا عشان دينهم.. عشان الدعوة رغم كل المنغصات والحروب النفسية اللي كانت بتُقام عليهم.. أربع نساء في تاريخ البشرية منهم عظيمات بلا أزواج.

السيدة مريم لم تتزوج من الأساس.. كانت في مِحنة شديدة.. فتاة صغيرة وطيبة أُبتليت ابتلاء عظيم.. أُتهمت في شرفها ورغم ذلك صبرت واحتسبت وكانت بطلة.. والله عزوجل من فوق سبع سموات أظهر برائتها.

السيدة آسيا زوجة فرعون كانت متزوجة حاكم مصر.. يعني تخيلي إنتي متقدملك أمير من أسرة حاكمة ومعاه مليارات بس مش ملتزم، وغير كل ده كانت بتحبه.. وسابته واختارت دينها.. شايفين الابتلاء كان صعب إزاي؟!

دينها غلب عاطفتها.. فَضَّلت دينها وفَضَّلت الرسالة.. فَضَّلت إنها تصبروتحارب عشان دينها.. فَضَّلت إنها تكون بطلة.

حتى إن بعض المفسرين قالوا إن جزاء السيدة مريم والسيدة آسيا إنهم ممكن يكونوا زوجات للنبي ﷺ واستدلوا بذكرهم في سورة التحريم «ثيباتٍ و أبكارا».

السيدة زينت بنت رسول الله ﷺ اللي صبرت على فراق زوجها واختارت دينها وكانت بطلة رغم حبها الشديد له.. اختارت دينها وماتت ولم تتزوج بعده.. وفِضلت وفية له منتظرة من زوجها المُشرك أن يُسلم.

زي حاليًا المرأة المتزوجة اللي معاها خمس أولاد.. عايشة في ابتلاء كبير.. معندهاش وقت تعمل حاجة لدينها ابتلائها مادي.

اللي حامل في طفل وشايلة طفل تاني على كتفها وطفل آخر بيجري من تحت رجليها وزوجها بيقولها إنتي مقصرة.. مسؤولة عن أطفال وبيت وزوج.. ومع ذلك صابرة وبتحاول تعمل حاجة لدينها دي بطلة.

السيدة أسماء بنت أبي بكرزوجها مسافروهي حامل في الشهر التاسع ورغم ده تروح وتهاجر500 كيلووتطلع الغاردي بطلة.

المرأة الفلسطينية اللي بتضحي بأولادها عشان الجهاد في سبيل الله.. بطلة.

أم حبيبة بنت أبي سفيان زوجها تنصَّر.. وكملت واختارت دينها بطلة.

أم سُليم اللي رفضت تروح مع زوجها واستحملت وكملت عشان دينها.. وأمرزي ده صعب على المرأة.. المرأة عاطفية جدًا.. وبتتأثر بالراجل اللي بتحبه.. وبترتبط بيه جدًا.. ودي بالنسبالها فتنة كبيرة.. وهي رغم ده صبرت واختارت دينها.. بطلة.

المرأة التانية على البشرية اللي بتسابق النبي ﷺ في دخول الجنة اللي زوجها تُوفيَ وهي شابة صغيرة.. وأولادها تلات وأربع سنوات أو أيًا كانت أعمارهم.. ورغم ده صبرت وربت أولادها.. قعدت على تربيتهم تربية دينية صحيحة كل ده وهي لوحدها.. بطلة.

المرأة اللي ربت موسى.. وربت عيسى.. والصحابي الزبير حواري الرسول ﷺ.. مربية الشافعي والبخاري.

إنتي مربية الأنبياء والعلماء والصحابة والشهداء، كل دول أبطال رغم ظروفهم.. ورغم الابتلاءات اللي اتعرضولها.. صبروا واتحملوا.. وكانوا أصحاب رسالة.. كانوا بطلات.. إنتي كمان بطلة في بيتك.. في شغلك.. في جبهتك.

البطلة اللي بتربي أولاد عندهم رسالة وشايلين هَمّ الدين والدعوة.

بطلة إنك تدعي لدينك.. تحافظي على التزامك.. البطلة اللي رغم الظروف مكملة.. هي «بطلة رغم كل شيء»

سبحانك اللهم وبحمدك.. أشهد أن لا إله إلا أنت.. أستغفرك و أتوب إليك.

تمت بحمد الله